

# نفحات من أدب الخطاب في القرآن الكريم

م. م. محمد اسماعيل جميل جسام  
ماجستير في اللغة العربية من كلية الآداب  
ديوان الوقف السني / دائرة التعليم الديني  
والدراسات الإسلامية

Search title  
Pleasures from the literature of discourse in the  
Holy Quran

Search submitted by  
M. M. Muhammad Ismail Jamil Jassam  
Master's degree in Arabic language from the  
college of Literature  
Sunni Endowment Divan / Directorate of  
Religious Teaching & Islamic Studies  
mhmd.is.gm@gmail.com

- الدروس والعبر المستقاة من الخطاب القرآني والقيم السلوكية والأخلاقية ودعانا لاتخاذها منهاجا في الحياة:
- عدم نسبة ما يصيب الأنسان من مصائب لله تعالى وإنما إضافتها إلى النفس ونسبة الخير وحدة إليه "تبارك وتعالى".
  - اسناد العلم إلى المولى "عز وجل" ومنه قوله تعالى على لسان هود "عليه السلام": (( قال إنما العلم عند الله وأبلغكم ما أرسلتُ به ولكنني أراكم قوما تجهلون )) الاحقاف - ٢٣.
  - انكار الفعل بإظهار العلم ومنه قوله تعالى على لسان عيسى "عليه السلام": (( ان كنت قلتة فقد علمته تعلم ما في نفسي ولا اعلم ما في نفسك إنك انت علام الغيوب )) المائدة - ١١٦ فهو لم يُنكر القول. وثمة فرق بين الجوابين في حقيقة الأدب.
  - عدم سؤال الله تعالى عما اختص بعلمه. ومنه قوله تعالى: (( يسألونك عن الساعة أيان مرساها قل انما علمها عند ربي )) الأعراف - ١٨٧.
  - الشكر على نعمة العلم. ومنه قوله تعالى: (( ولقد آتينا داوود وسليمان علما وقالوا الحمد لله الذي فضلنا على كثير من عباده المؤمنين )) النمل - ١٥. وهذا بمجمله دعوة لنا لنتمثل أدب الخطاب ونستلهمه ويكون قائدا لنا كخير أمة أخرجت للناس تلك المكانة السامية التي اختارها المولى "عز وجل" بين الأمم. والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.
- الكلمات المفتاحية: نفحات - أدب - الخطاب - أدب الخطاب - القرآن الكريم.**

### Abstract:

The Lessons and significance learned from the Qur'anic discourse and behavioral and ethical values, and calls for us to take them as an approach to life:

- Not attributing the calamities that afflict a person to God Almighty, but adding them to the soul, and attribution of goodness alone is to him "Blessed and exalted".
- The attribution of knowledge to the Allah (Almighty) , including what the Almighty said on the tongue of Hood (peace be upon him): ((He said: "The Knowledge (of when it will come) is only with Allah: I proclaim to you the mission on which I have been sent: But I see that ye are a people in ignorance!"))) Al-Ahqaf-23.
- Denial of the act by showing knowledge, and from it the Almighty saying on the tongue of Jesus (peace be upon him): ((Had I said such a thing, thou wouldst indeed have known it. Thou knowest what is in my heart, Thou I know not what is in Thine. For Thou knowest in full all that is hidden)) Al-Maeda- 116. He did not deny the saying. There is a difference between the two answers in the truth of literature.
- Not asking God Almighty about what He specializes in His knowledge. And from it, the Almighty said: ((They ask thee about the (final) Hour - when will be its appointed time? Say: "The knowledge thereof is with my Lord ") ) Al-Araf - 187.
- Thanks for the blessing of science. And from it, the Almighty said: ((We gave (in the past) knowledge to David and Solomon: And they both said: "Praise be to Allah, Who has favoured us above many of his servants who believe!") ) An-Naml- 15 .

This, in its entirety, is an invitation to us to comply the literature of the discourse, to be inspired by it, and to be a leader for us as the Good of a nation that gave to people, That lofty position that the Lord "Almighty" chose among the nations.

Praise be to God, who by His grace is being good.

### المقدمة:

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه وبعد. مما لا شك فيه أن للقرآن نظم خاص، وأسلوب متميز وطريقته الفريدة في تأليف كلامه، وتنسيق الفاظه، ومفرداته، واشعاع معانيه فهو النص الذي أبدعه المولى "عز وجل" وجعل محفوظا بحفظه إلى يوم الدين وأعجز البشر بآياته فتبارك الله أحسن الخالقين ومن دلائل هذا الاعجاز الخالد للقرآن الكريم التأثير الذي يتركه في النفوس، تلك الانعطافة من الظلمات إلى النور والحق المبين، والسمو بعد ذلك في الخطاب الإنساني، فالقرآن دستور البشرية المهذب للنفس المقوم للأخلاق من هذه الملامح تظهر صورة تمثل انعكاس ذلك الابداع المتجدد في التأثير المبتغى في النفس البشرية إلى نقطة السمو والرفعة والمضي لتحقيق تلك الغايات والمقاصد الجليلة وفي هذا البحث محاولة تسليط الضوء على الملامح البارزة في هذا الاعجاز في الخطاب القرآني في وقت اصبحنا بمسيس حاجة إلى ادب الخطاب و السلوك وتمثيلها واقعا ملموسا في مجتمعاتنا لاسيما ونحن نعيش هذه الهجئة المختلفة على

مظاهر التأدب ورموزه قولاً وفعلاً وفي مقدمتهم من وصفه الباري " عز وجل " بأنه على خلق عظيم " عليه الصلاة والسلام " .ومن هنا تبرز أهمية الموضوع فهو دعوة إلى الالتزام بالأدب في الخطاب وترجمته نشاطاً حيويًا في القول والعمل وجعله سلوكاً وتعاملاً من خلال سياحة في ادب الخطاب القرآني واستقاء نماذج وأساليبه في القرآن الكريم. وهنا لا بد لي من الإشارة إلى ان هذا البحث الذي اتضحت حدوده في العنوان ( ادب الخطاب ) وما فيه من شمولية تُحيي الحاجة إلى هكذا نوع من البحوث لما تمثله من دعوة متجددة تشكل دعامة من دعائم بناء المجتمعات.

### المبحث الأول: مفهوم أدب الخطاب

الادب لغة: في كتاب العين جاء تفسير الادب لغة: " رجل اديب مؤدّب يؤدّب غيره، ويتأدّب بغيره، والأدب: صاحب المأدبة ... والمأدبة والمأدبة لغتان : دعوة على الطعام ".<sup>(1)</sup> فهو دعاء الناس للطعام، والأدب: الداعي إليها.<sup>(2)</sup> وهو أيضاً: " أدب النفس الدرس "<sup>(3)</sup>، "وحسن تناول"<sup>(4)</sup>، وما يقال للبعير إذا رُضّ وذُكَّ أديبٌ، ومؤدّب.<sup>(5)</sup> وبناء على ذلك إن أصل الأدب: الدعاء و إنما سُمّي الأدب الذي يتأدّب به الأديب من الناس أديباً؛ لأنه يأدّب الناس إلى المحامد، وينهاهم عن المفاجيح.<sup>(6)</sup> واشتقاق الأدب من ذلك كأنه أمرٌ قد أُجمع عليه وعلى استحسانه.<sup>(7)</sup> وكذلك ما قيل للصنع يُدعى إليه الناس مدعاةً، ومأدبةً.<sup>(8)</sup> وهو ما جاء في تفسير أبو عبيد القاسم بن سلام الهروي (ت ٢٢٤هـ) لفظة (مأدبة) بضم الدال الواردة في قول رسول الله " صلى الله عليه وسلم " : (( إن هذا القرآن مأدبة الله فتعلموا من مأدبته ))<sup>(9)</sup>، قال: قوله مأدبة فيه وجهان : يقال: مأدبة ومأدبة. فمن قال مأدبة، أراد به الصنيع يصنعه الانسان فيدعو إليه الناس... ومعنى الحديث أنه مثل: شية القرآن بصنيع صنعه الله للناس لهم فيه خير ومنافع. ثم دعاهم إليه.<sup>(10)</sup>

الادب اصطلاحاً: يدور مفهوم الأدب اصطلاحاً في فُلك التأصيل اللغوي فهو:

- ١- (( ترويض النفس على محاسن الاخلاق وفصائل الاقوال، والافعال التي استحسنتها الشرع وأيدها العقل واستعمال ما حُمد قولاً وفعلاً ))<sup>(11)</sup>.
- ٢- وهو ما نقله ابن القيم (ت ٧٥١هـ) عن عبدالله بن المبارك: (( معرفة النفس ورعونتها وتجنب تلك الرعونات ))<sup>(12)</sup>.
- ٣- "الادب: اجتماع الخير في العبد".<sup>(13)</sup> وحقيقته: " استعمال الخُلق الجميل ... واستخراج ما في الطبيعة من الكمال من القوة إلى الفعل ".<sup>(14)</sup>
- ٤- أيضاً يعُدُّ (( عبارة عن معرفة ما يُحترز عن معرفة دميع أنواع الخطأ ))<sup>(15)</sup>.
- ٥- وكذلك (( تَعَلُّم رياضة النفس ومحاسن الاخلاق ))<sup>(16)</sup>.
- ٦- وهذا ما نقله الزبيدي (ت ١٢٠٥ هـ) عن شيوخه: (( ملكة تَعَصُّم من قامت به عما يُثيينه ))<sup>(17)</sup>.
- ٧- وناقلة القول هو: (( رياضة النفس ومحاسن الاخلاق. ويقع على كل رياضة محمودة يتخرّج بها الانسان في فضيلة من الفضائل ))<sup>(18)</sup>. هذا جملة ما قيل في الملامح العامة لمصطلح الأدب وما يندرج تحت عنوانه من سلوكيات البشر وسماتهم وخصالهم وطباعهم التي يتفرع عنها مفاهيم خاصة للأدب نخص منها ما يقع ضمن حدود بحثنا.

أولاً: هو أدب يرى فيه بعض العلماء شعبة من الأدب العام حيث صنّفوه وظيفياً في تقويم الخطاب اللساني. ليقول ابن القيم: (( وعلم الأدب: هو علم اصطلاح اللسان والخطاب، وإصابة مواقعه، وتحسين ألفاظه وصيانته عن الخطأ والخلل. وهو شعبة من شعب الأدب ))<sup>(19)</sup> وقد جاء التأكيد على هذا النوع من الخطاب بصيغة الوجوب والإلزام في قوله تعالى: ( يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولاً سديداً ) الأحزاب - ٧٠. ثانياً: الملمح الثاني البارز نابع من تفردية هذا الأدب الخاص مع الباري " عز وجل " في الخلق وهو خطاب لا يعقل التسلسل المنطقي والانتقال في مستويات الخطاب من الأنبياء عليهم السلام الذين هم الصفوة وعليهم امانة حمل الرسالات وتبليغها. والصالحون الماضون على نهج سلفهم والمقتنون أثرهم تأسيساً على هذا المفهوم "فالأدب مع الله حُسن الصحبة معه بإيقاع الحركات الظاهرة والباطنة على مقتضى التعظيم والاجلال والحياء".<sup>(20)</sup> وهي عناصر تكمن عند أهل الدين والخاصة من الخلق (( في رياضة النفوس، وتأديب الجوارح وحفظ الحدود وترك الشهوات ... وطهارة القلوب، ومراعاة الاسرار، والوفاء بالعهود، وحفظ الوقت وقلة الالتفات إلى الخواطر وحسن الأدب في مواقف الطلب، و أوقات الحضور، ومقامات القرب ))<sup>(21)</sup>. فلا يتحقق الأدب مع المولى " عز وجل " إلا بتحقيق ثلاثة أشياء: (( معرفته بأسمائه وصفاته، ومعرفته بدينه وشرعه، وما يحب ويكره، ونفس مستعدة قابلة لينة متهيئة لقبول الحق علماً وعملاً وحالاً ))<sup>(22)</sup>؛ لأنه كما يجب تنزيه ذاته سبحانه وتعالى وصفاته عن النقائص يجب تنزيه الالفاظ الموضوع لها سوء الأدب.<sup>(23)</sup> فالمحبة لله (( إن صحت تأكدت على المحب ملازمة الأدب ))<sup>(24)</sup> ومن أراد محبة الله فليتأدّب بأدبه (( من تأدّب بأدب الله صار من أهل محبة الله ))<sup>(25)</sup> والصحبة مع المولى " عز وجل " نابعة من مراقبته تعالى في السر والعلن (( بحسن الأدب، ودوام الهيبة و المراقبة ))<sup>(26)</sup>. الضحبة الحق لا يمكن أن تتحقق بصيغتها المثلى إلا مع

الأنبياء عليهم السلام، لأنهم في تواصل دائم مع المولى "عز وجل" مما يُحتم اتصافهم بحسن الأدب معه تعالى خطاباً، وسلوكاً. من الملامح العامة يظهر لنا صورة الدلالة المتوارية خلف لفظة (الأدب) من حيث انها تهيئة للنفس وتجريدها من الخصال المنبوذة من الكبر والكذب و الوصول بها إلى الرقي واستدعاء خصال الخير والصلاح وانعكاسها سلوكاً وعملاً واتخاذها منهاجاً وسبيلاً للحياة لتسمو الروح وتترفع عن المذموم من الأفعال فالتأدب في الخطاب اللساني: بانتقاء الكلام وتجشم اذى المجتمع دون الحياد عن المنهج القويم يقول المولى "عز وجل": (( أدع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن )) النحل - ١٢٥.

### المبحث الثاني: جوهرية الخطاب القرآني مع الصفوة لله عليهم السلام

اختار الله "عز وجل" انبياءه ليكونوا مبشرين ومنذرين مبلغين لرسالاته فمن البديهي ان يكونوا خير الناس والأرفع أدباً اخلاقاً. ويبرز ذلك في افعالهم واحوالهم، وخطابهم الذي تضمن القرآن الكريم "عليهم السلام". بناء على ما تقدم فلا بد للحوار بين المولى "عز وجل" وصفوته من الخلق "عليهم السلام" ان يكون مميزاً بأبهى الحلل مشتملاً على كنوز المعاني وروائع العبر في القول والفعل على حد سواء وتظهر جليلة التوجيهات الربانية على صعيد السياقات الخلقية ويكون تأسيساً لقواعد الاخلاق. حيث أصبحت تلك الملامح التي خطها الادب الرفيع في الخطاب المتميز مظهراً له خاصيته القدسية في القرآن الكريم أشار إليه العلماء بالبنان منها على سبيل المثال:-

- "الطريقة المعهودة في القرآن". (27)
- "طريقة القرآن". (28)
- "اسرار القرآن الكريم". (29)
- "السنة القرآنية". (30)
- "العادات الشريفة التنزيلية". (31)
- "الآداب الشريفة القرآنية". (32)
- "الآداب القرآنية". (33)

ويعد الخطاب القرآني من أسمى أنواع الخطاب فهو صادر عن الذات الإلهية المنفردة في صفاتها خطاب موجّه إلى البشرية عامة والانبيا والصالحين خاصة وهو على ثلاث مناح:

- **المنحنى الأول:** خطاب المولى "عز وجل" يمثل الادب لازماً من لوازمه وطريقة في عرض غايته كما في قوله تعالى واصفا خاتم النبيين "عليه الصلاة والسلام": (( ما ودعك ربك وما قلى )) الضحى - ٣ هنا يبرز انموذج للخطاب الرباني المتضمن اسمى أنواع التلطف بأبهى صورة للأدب اكراماً واجلالاً بذكر المفعول (الكاف) مع (التوديع) وحذفه مع (القلى) : " وفي هذا توجيه وإرشاد إلى أدب الكلام والخطاب فإنه لا يحسن مواجهة الشخص الذي نُجِّلَهُ وتُكْرِمَهُ بفعل مرغوب عنه ولو نفياً". (34)؛ لما في القلى من الطرد والابعاد وشدة البُغض، أما التوديع فلا شيء فيه من ذلك، بل لعل الحسن اللغوي فيه يؤذن بالفراق على كره مع رجاء العودة (35) فالتوديع لا يكون إلا بين المتحابين فهو وشيجة من وشائج المودة والتعلق والاشتياق أما القلى والتترك والهجر فعلى نقيض من ذلك فهو البغض وانقطاع الأسباب فلنتأمل حركية المعنى داخل الالفاظ الحيوية وكيف يُوظف المفعول المحذوف في صياغة تأبى الربط بين الفعل الدال على البغض و الكراهية والرسول "صلى الله عليه وسلم" وذلك تكريم للرسول "عليه الصلاة والسلام" ورعاية وطمأنينة، ولذلك لم تقل الآية وما قلاك. (36) تلك منزلته عند ربه "عليه افضل الصلاة واتم التسليم".

- **المنحنى الثاني:** خطاب تأسيس وتشريع السياقات الأخلاقية. الباري "عز وجل" يبين للأنبياء "عليهم السلام" مسالك الأدب: القولية والفعلية ويُنمي هذه السجبة فيهم. "عن ابن عباس، عن أبي بن كعب "رضي الله عنهم" عن رسول الله "صلى الله عليه وسلم": (( ان موسى قام خطيباً في بني إسرائيل فسئل أي الناس أعلم؟ فقال: أنا، فعتب الله عليه إذ لم يرد العلم إلى الله )) (37). هنا إشارة من المولى "عز وجل" إلى نبيه موسى "عليه السلام" بوجوب مراعاة الأدب، والتواضع معه في الخطاب بإرجاع العلم إليه تبارك وتعالى موجهاً بالاعتب اللين وتشريع هذا النمط في الأسلوب التهذيبي. فالعتب دليل بقاء المودة ودوام الصحبة والغرض منه إزالة ما في النفوس من الوحشة؛ لأن بجريانه يُظهر ما في القلوب من آثار الجناية، ويبدو ما في البواطن من تأكيد أسباب العناية إذ لولا بقاء المودة الخفية لحلت القطيعة بالكلية، ولم يحتج إلى عتاب. (38)

وجاء في الخطاب القرآني مع النبي الاكرم "عليه الصلاة والسلام" آيات تتضمن هذا النمط ومنه قوله تعالى: ((عفا الله عنك لم أذنت لهم)) التوبة - ٤٣ وقوله تعالى: ((أيها النبي لم تُحرم ما أحل الله لك)) التحريم- ١ وقوله تعالى: ((فلما اتاها نودي يا موسى إني أنا ربك فأخلع نعليك

إنك بالواد المقدس طوى)) طه ١١-١٢ فمقام هذه الأرض وقديسيها (وادي طوى) الذي دعا فيه موسى "عليه السلام" ربه ان يتجلى له يقتضيه خلع النعلين تأدبا: ((امر الله سبحانه وتعالى بخلع تعليه؛ لان ذلك ابلغ في التواضع واقرب إلى التشريف والتكريم، وحسن الأدب)).<sup>(٤٩)</sup>

- المنحى الثالث: الخطاب الوصفي لأخلاقهم وآدابهم " عليهم السلام". من ذلك قوله " عز وجل": (( ما زاغ البصر وما طغى )) النجم - ١٧ إشارة إلى أدبه "عليه أفضل الصلاة واتم التسليم" إذ لم يلتفت جانبا ولا تجاوز ما رآه وهذا كمال الأدب والأخلاق به: أن يلتفت الناظر عن يمينه وعن شماله، أو يتطلع امام المنظور. فالالتفات زيع، والتطلع إلى ما أمام المنظور طغيان، ومجازة. فكمال إقبال الناظر على المنظور: أن لا يصرف بصره عنه يمينه، ولا يساره، ولا يتجاوز.<sup>(٤٠)</sup>

هذه أخلاق رسولنا الكريم "عليه أفضل الصلاة واتم التسليم". وهذا غاية كمال الأدب مع الله الذي لا يلحق فيه سواه؛ فان عادة النفوس إذا أقيمت في مقام عالٍ رفيع: ان تتطلع إلى أعلى منه وفوقه، الا ترى إلى موسى لما أقيم في مقام التكليم والمناجاة: طلبت نفسه الرؤية، ونبينا لما أقيم في ذلك المقام وقاه حقه: فلم يلتفت بصره، ولا قلبه إلى غير ما أقيم فيه البتة، ولأجل هذا ما عاقه عائق ولا وقف به مراد حتى جاوز السموات السبع.<sup>(٤١)</sup> فلا غرابة ولا عجب من وصف رب العزة لمن يحمل هذا الأدب الرفيع والخلق القويم "عليه أفضل الصلاة واتم التسليم" بقوله: ((إنك لعلى خلق عظيم)) القلم - ٤ تتسابق في هذه الآية وتنتظر من الواو، إن، واللام ثم تأتي مكانه الخلق "العظيم". من ثم يجعل المولى "عز وجل" من اخلاقه "عليه أفضل الصلاة واتم التسليم" مثالا يحتذى وقدوة منقطعة النظير قال تعالى: ((لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة)) الأحزاب - ٢١ لنتأمل رده "عليه أفضل الصلاة واتم التسليم" حيث ينسب الأدب الذي تأدب به إلى الخالق "عز وجل" لدى قوله: ((أدبني ربي فأحسن تأديبي))<sup>(٤٢)</sup> فينسب الفضل إلى المولى "عز وجل".

### المبحث الثالث: خطاب الصفة لله عليهم السلام مع المولى لله عز وجل

وقضية التمام والدقة في ترجمة القرآن الكريم لأقوال الأنبياء "عليهم السلام" والصالحين أمر أشار إليه ابن جني<sup>(٤٣)</sup> وجاء هذا النوع من الخطاب على لسان الأنبياء بين دفتي القرآن الكريم في ترجمة أدق ما تكون لأقوالهم بلغة بيانية ولفظ معجزة. وذلك توفيق من المولى "عز وجل" لنيل المنزلة العالية لأنهم "عليهم السلام" أهل الطاعات والفضائل ويتمظهر هذا النوع من الأدب في الخطاب نسبة الأنبياء "عليهم السلام" أفعال الخير إلى الباري "عز وجل" وإضافة أفعال الشر أو ما يُنبئ بها إلى سائر خلقه أو بصيغة المجهول فهم في ذلك على نهج خالقهم "جلّ وعلى" وفق ضوابط تشريعية لأسس الخطاب الأدبي لدى ذكر الخير والشر بنسبة الخير إلى ذاته جلّت صفاته وصرف الشر عنه؛ " لان من عادة الله تعالى أن كل ما كان منفعه، ولذة فإنه يضيفه إلى نفسه، وكل ما كان ألما فإنه لا يضيفه إلى نفسه، وذلك رعاية للأدب".<sup>(٤٤)</sup> قوله تعالى: (( ما اصابك من حسنة فمن الله وما اصابك من سيئة فمن نفسك )) النساء - ٧٩ ومنه قوله تعالى: (( أيها الذين آمنوا خذوا جذركم فانفروا ثبات أو انفروا جميعاً \* وإن منكم لمن ليبطئن فان اصابك مصيبة قال قد انعم الله عليّ إذ لم أكن معهم شهيدا \* ولئن اصابكم فضل من الله ليقولن كأن لم تكن بينكم وبينه مودة يا ليتني كنت معهم فأفوز فوزا عظيما )) النساء - ٧١-٧٣ فالفضل مقترن باسمه الأعظم "تبارك وتعالى" دون المصيبة وذلك سياق الخطاب لله تعالى مع انبياءه وصفوته وسائر خلقه. "ونسبة إصابة الفضل إلى جنات الله تعالى دون إصابة المصيبة من العادات الشريفة التنزلية".<sup>(٤٥)</sup> فالطاعة والنعمة يرتضيها المولى "عز وجل" فهو الخالق ويجب أن يُطاع وهو المعطي المغدق بالنعمة وأن حالت المعصية فرحمته "سبحانه وتعالى" أوسع لخلقته؛ ولهذا تأدب العارفون من عباده بهذا الأدب، فأضافوا إليه النعم والخيرات وأضافوا الشرور إلى محلها.<sup>(٤٦)</sup> فلننظر كيف يتمثل الأنبياء "عليهم السلام" هذه العادة الرفيعة في خطاباتهم مع الخالق "سبحانه وتعالى" فلا يضيفون إليه من الألفاظ إلا ما يستحسن منها دون ما يستقبح.<sup>(٤٧)</sup> وقد جاءت تلك المضامين السامية وتزينت بأبهى حُل أدب الخطاب مع المولى "عز وجل" لتبرز في خطاب إبراهيم "عليه السلام" خليل الله بقوله: (( الذي خلقتني فهو يهدين \* والذي يطعمني ويسقين \* وإذا مرضت فهو يشفين )) الشعراء - ٧٨-٨٠. حيث نسب الشفاء الذي هو نعمة إلى الله تعالى وإن كان المرض والشفاء كله من رعاية الله لحسن الأدب.<sup>(٤٨)</sup> ولم يُنسب المرض إليه تعالى؛ لأنه كان في معرض الثناء على الله تعالى وتقدير نعمه.<sup>(٤٩)</sup> و"قصد الذكر بلسان الشكر فلم يُضف إليه ما يقتضي الضر".<sup>(٥٠)</sup> وتأكيدا لتلك الحقيقة ((إن عرض الخليل "عليه السلام" في هذا المقام - والله أعلم - إظهار لسان الشكر لا إظهار لسان الشكوى، وإضافة المرض إلى الله يكون شكوى. فأضاف المرض إلى نفسه والشفاء لله تعالى ليكون أبلغ في الشكر".<sup>(٥١)</sup> ومن قول الخضر "عليه السلام" في خرقة للسفينة: (( فأردت أن أعيبها )) الكهف - ٧٩ لم يقل أراد ربك أن أعيبها. وقال في اليتيمين: (( فأراد ربك أن يبلغا أشدهما )) الكهف - ٨٢. فاسند العيب إلى نفسه تأدبا مع المولى "عز وجل": (( انما اسند الإرادة في الجدار إلى الله تعالى؛ لأنها في أمر مستأنف في زمن طويل فيه غيب من الغيوب فحسن إفراد هذه الموضع بذكر الله تعالى، وإن كان الخضر قد أراد ذلك فالذي أعلمه الله تعالى

إلى أن يريده. وقيل: لما كان ذلك خيراً كله أضافه إلى الله تعالى، وأضاف عيب السفينة إلى نفسه رعاية للأدب؛ لأنها لفظة عيب. فتأدب بأن لم يسند الإرادة فيها إلا إلى نفسه)).<sup>(٥٢)</sup> هكذا يخاطب الأنبياء "عليهم السلام" خالقهم "عز وجل" عبارات يفوح منها عبير الأدب الرفيع وأزاهير المودة وهذا نبينا الأكرم "عليه أفضل الصلاة واتم التسليم" يضرب لنا مثلاً يُحتذى في الأخلاق المحمدية التي لها خصوصيتها لدى قوله: (( لبيك وسعديك والخير كلّه في يديك والشر ليس إليك)).<sup>(٥٣)</sup> فانظر إلى لفظ المعصوم الصادق المصدوق فإنه يتضمن تنزيهه في ذاته تبارك وتعالى عن نسبة الشر إليه بوجه ما لا في صفاته، ولا في أفعاله، ولا في أسمائه وإن دخل في مخلوقاته.<sup>(٥٤)</sup>

### المصادر و المراجع:

- ١- القرآن الكريم.
- ٢- إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، لأبي السعود محمد بن محمد العمادي (ت ٩٥١هـ)، دار احياء التراث العربي، بيروت.
- ٣- الاستغناء في احكام الاستثناء، لشهاب الدين القرافي (ت ٦٨٢هـ)، تحقيق: طه محسن، مطبعة الارشاد، بغداد، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.
- ٤- اسرار التنزيل وانوار التأويل، لفخر الدين الرازي (ت ٦٠٦هـ)، تحقيق: محمود أحمد محمد، وصالح محمد عبد الفتاح، دار واسط للنشر، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٥م.
- ٥- انوار التنزيل واسرار التأويل (تفسير البيضاوي)، لعبدالله بن عمر (ت ٧٩١هـ)، ط١، دار الكتب العلمية بيروت، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
- ٦- بدائع الفوائد، لمحمد بن ابي بكر (ابن القيم الجوزية) (ت ٧٥١هـ)، تحقيق: هشام عبد العزيز عطا - عادل عبد الحميد العدوي - اشرف احمد، الناشر: مكتبة نزار مصطفى الباز - مكة المكرمة، ط١، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.
- ٧- تاج العروس من جواهر القاموس، لمحمد مرتضى الزبيدي (ت ١٢٠٥هـ).
- ٨- التحرير والتنوير، للشيخ محمد الطاهر بن عاشور (ت ١٣٩٣هـ)، الدار التونسية للنشر، ١٩٨٤م.
- ٩- التعريفات، علي بن محمد بن علي الجرجاني (ت ٦١٨هـ)، تحقيق: إبراهيم الابياري، دار الكتاب العربي، ط١، بيروت، ١٤٠٥هـ.
- ١٠- تفسير عبد الرزاق للإمام المحدث عبد الرزاق بن همام الصنعاني (ت ٢١١هـ)، تحقيق: الدكتور محمود محمد عبدة، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.
- ١١- تفسير القرآن العظيم، لإسماعيل بن عمر بن كثير (ت ٧٧٤هـ)، دار المعرفة - بيروت، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م.
- ١٢- التوقيف على مهمات التعاريف، لمحمد بن عبد الرؤوف المناوي، تحقيق: د. محمد رضوان الداية، ط١، دار الفكر - بيروت، دمشق، ١٤١٠.
- ١٣- جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لمحمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ)، ط٢، مصطفى الباي الحلبي، ١٣٧٣هـ - ١٩٥٤م.
- ١٤- الجامع الصحيح المختصر، لمحمد بن إسماعيل البخاري (ت ٢٥٦هـ)، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا، ط٣، دار ابن كثير، اليمامة - بيروت، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.
- ١٥- الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبد الله القرطبي (ت ٦٧١هـ)، تحقيق: أحمد عبد العليم، دار الشعب، ط٢، ١٣٧٢هـ.
- ١٦- الخاطريات، لأبي الفتح عثمان ابن جني، حققه وعلق عليه: علي ذو الفقار شاکر، دار المغرب الإسلامي، ط١، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
- ١٧- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، لشهاب الدين محمود الألوسي (ت ١٢٧٠هـ)، دار احياء التراث العربي - بيروت.
- ١٨- شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، لمحمد بن ابي بكر (ابن القيم الجوزية)، تحقيق محمد بدر الدين أبو فراس الحلبي، دار الفكر - بيروت، ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م.
- ١٩- الصحاح، للجوهري، تحقيق: احمد عبد الغفور عطار، القاهرة ١٣٧٥هـ - ١٩٥٦م.
- ٢٠- صحيح مسلم، لأبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري (ت ٢٦١هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار احياء التراث العربي - بيروت.
- ٢١- على طريق التفسير البياني، الدكتور فاضل صالح السامرائي، منشورات جامعة الشارقة.
- ٢٢- العين، لأبي عبد الرحمن الخليل بن احمد الفراهيدي (ت ١٧٠هـ)، تحقيق: د. مهدي المخزومي، ود. إبراهيم السامرائي، الناشر: دار
- ٢٣- غريب الحديث، لأبي عبيد القاسم بن سلام الهروي (ت ٢٢٤هـ)، تحقيق: د. محمد عبد المعيد خان، ط١، دار الكتاب العربي - بيروت،
- ٢٤- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، محمد بن علي الشوكاني (ت ١٢٥٠هـ).
- ٢٥- في ظلال القرآن، سيد قطب إبراهيم، دار الشروق، ط٣٥، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٥م.

- ٢٦- كنز العمال في سنن الاقوال و الأفعال، لعلي بن حسام الدين المتقي الهندي، مؤسسة الرسالة - بيروت، ١٩٨٩م.
- ٢٧- لسان العرب، لأبن منظور المصري (٧١١هـ)، ط١، دار صادر - بيروت.
- ٢٨- مجمل اللغة، لأحمد بن فارس (ت ٣٩٥هـ)، تحقيق: زهير عبد المحسن سلمان، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.
- ٢٩- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، لمحمد بن ابي بكر (ابن القيم الجوزية)، تحقيق: محمد حامد الفقي، ط٢، دار الكتاب العربي - بيروت، ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م.
- ٣٠- مسائل الرازي واجوبتها في غرائب آي التنزيل، محمد عبد القادر الرازي، تحقيق: إبراهيم عطوة عوض، ط١، ١٣٨١هـ - ١٩٦١م.
- ٣١- المستدرك على الصحيحين، لأبي عبيد الله الحاكم النيسابوري (ت ٤٠٥هـ)، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، ط١، دار الكتب العلمية - بيروت، ١٤١١هـ - ١٩٩٠م.
- ٣٢- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، لأحمد بن محمد بن علي الفيومي (ت ٧٧٠هـ)، المكتبة العلمية - بيروت.
- ٣٣- معالم التنزيل للحسين بن مسعود البغوي (ت ٥١٦هـ)، تحقيق: خالد العك، ومروان سوار، ط٢، دار المعرفة - بيروت، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.
- ٣٤- مقاييس اللغة، لأحمد بي فارس، تحقيق عبد السلام محمد بن هارون، دار الفكر.

### هوامش البحث

- (١) العين: (أدب): ٨٥/٨.
- (٢) مجمل اللغة (أدب) ومقاييس اللغة والادب: ٩٠/١-٩١.
- (٣) الصحاح: (أدب).
- (٤) لسان العرب: (أدب).
- (٥) تاج العروس: (أدب).
- (٦) لسان العرب: (أدب)، تاج العروس: (أدب).
- (٧) مجمل اللغة (أدب): ٩١.
- (٨) مقاييس اللغة: (أدب)، لسان العرب (أدب)، تاج العروس (أدب).
- (٩) المستدرك على الصحيحين: ٧٤١/١، المعجم الكبير: ١٣٠/٩، مصنف عبدالرزاق: ٣٦٨/٣-٣٧٥.
- (١٠) غريب الحديث: ١٠٤/١-١٠٨.
- (١١) الجامع الصحيح المختصر: ٢٢٢٥/٥.
- (١٢) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين: ٣٧٧/٢.
- (١٣) المصدر نفسه: ٣٧٥/٢.
- (١٤) المصدر نفسه: ٣٨١/٢.
- (١٥) التعريفات للجرجاني: ٢٩.
- (١٦) المصباح المنير للفيومي: ٩/١.
- (١٧) تاج العروس: ٢٧٦/١.
- (١٨) التوفيق على مهمات التعاريف: ٤٤.
- (١٩) مدارج السالكين: ٣٧٦/٢.
- (٢٠) المصدر نفسه: ٣٧٧/٢.
- (٢١) المصدر نفسه: الصفحة نفسها.
- (٢٢) مدارج السالكين: ٣٨٧/٢.
- (٢٣) انوار التنزيل: ١٣/١، روح المعاني: ١٠٣/٣٠.

- (24) مدارج السالكين: ٣٧٨/٢.
- (25) المصدر نفسه: ٣٧٦/٢.
- (26) المصدر نفسه: ٣٩٠/٢.
- (27) بدائع الفوائد: ٢٥٦/٢.
- (28) المصدر نفسه: ٤٣٩/٢، ويُنظر: مدارج السالكين: ١٢/١.
- (29) بدائع الفوائد: ٤٤٠/٢.
- (30) ارشاد العقل السليم: ٢٩٣/٣.
- (31) المصدر نفسه: ٢٠٠/٢.
- (32) المصدر نفسه: ٤٤/٩.
- (33) روح المعاني: ٩٣/١١.
- (34) على طريقة التفسير البياني للقرآن: ٣١٢/١.
- (35) الاعجاز البياني للقرآن: ٢٥.
- (36) في البيئة والدلالة رؤية لنظام العلاقات في البلاغة العربية: ١٣١.
- (37) تفسير عبدالرزاق: ٣٤١/٢.
- (38) الفوائد المشوق: ٣٠٥.
- (39) فتح القدير: ٥١٢/٣.
- (40) مدارج السالكين: ٣٨٢/٢.
- (41) مدارج السالكين: ١٣٨٣/٢.
- (42) الحديث نقله ابن السمعاني عن ابن مسعود في أدب الإملاء، يُنظر: كنز العمال: ٥٣٤/١١.
- (43) الخاطريات: ١١٩.
- (44) اسرار التنزيل وانوار التأويل: ٣٣٠.
- (45) ارشاد العقل السليم: ٢٠٠/٢.
- (46) شفاء العليل: ١٦٩.
- (47) الجامع لأحكام القرآن: ٣٧/١١.
- (48) الجامع لأحكام القرآن: ٣٧/١١.
- (49) يُنظر الجامع لأحكام القرآن: ١٠٣/١٣، وارشاد العقل السليم: ٢٤٩/٦، معالم التنزيل: ٤٥٠/٣، تفسير القرآن العظيم: ٤٥٠/٣، وروح المعاني: ٩٦/١٩، ومسائل الرازي واجوبتها: ٢٥١، وانوار التنزيل: ٢٤٢/١.
- (50) مدارك التنزيل: ١٨٩/٣.
- (51) اسرار التنزيل وانوار التأويل: ٣٣١.
- (52) الجامع لأحكام القرآن: ٣٧/١١.
- (53) صحيح مسلم: ٥٣٤/١.
- (54) بدائع الفوائد: ٤٣٩/٢.